

عزالقاسي

الحركات الاستقلالية

في

لمغرب العربي



الحرب الريفية

أشرنا فى الحديث عن مواقع الاطلس الكبير الى الروح القومية التى بعثها الشيخ ماء العينين وولده الهبة كرد فعل لروح القبيلة التى أراد ليوطى بسياسة القواد الكبار أن يبعثها من مرقدتها. والحقيقة ان الدفاع الاقليمى الذى كان يسود المقاومة المغربية فى كثير من الجهات كان يخيل لبعض الاجانب وبالاخص الفرنسيين أن الروح القبيلية تفيدهم كثيرا فى كسب الانصار وتشتيت المقاتلين، كما أنها تمهد السبيل لادارات الشؤون السياسية لتعمل عملها فى تفرقة شمل الكتل المتحدة كى تسود عليها، وقد كانت حركة الهبة الوطنية أكبر مظهر رأته السلطات الفرنسية للتكتل القومى فى المغرب ؛ اذ شاهدت القبائل العديدة المتساكنة فيما بين مدينة مراكش والسنغال كلها تتجمع تحت قيادة شخص واحد، متناسية كل الاعتبارات المحلية، مدافعة عن فكرة واحدة هى استقلال المغرب ووحدته .

ولقد شهد احد كبار الفتح الفرنسى الجنرال أ. جويوم فى كتابه عن «برابرة المغرب وعمليات استتباب الامن فى الاطلس المركزى» بما يأتى : (الاسلوب العزيز على الماريشال ليوطى : «أظهر القوة لثلاث تستعملها - ورب طريق ساوت جحفلا» لا يمكن تطبيقه على هذا الشعب المتحمس فى الدفاع عن استقلاله الى آخر رمق من حياته . والذى أدهشنا كثيرا هو أن أخلص القبائل للسلطان ثارت عليه حينما وقع الحماية، وكانت أشد مقاتلة لنا وتعصبا علينا من بعض القبائل التى عرف عنها انها تثور بمختلف المناسبات) . ويقول بعد ذلك : (اذا كانت مجهودات ادارة الشؤون الاهلية قد كللت بالفشل، فذلك لان خصومنا يرفضون أن يتقهقروا ازاء قوتنا الا اذا بذلوا كل ما يملكونه من جهد فى المقاومة) . ويقول قبل هذا : (انه كثيرا ما نستحضر أمام فشل محاولتنا هذه الكلمة التى قالها الماريشال بيجو : «حقيقة من المضحك والمؤلم معا أن نسمع ونقرأ ما يقوله كتابنا وخطابؤنا الذين ينصحوننا بأن نستعمل كوسيلة لجلب خصومنا أسلوبا عادلا، وأن نجعل العرب يحسون

مواطنونا الريفيون أثناء متابعتهم لاستعمال السلاح، وسقط بانتهزام الاسبان أكثر من مائة مركز حربي في يد عبد الكريم، وكانت الطريق مليئة بالقتلى، وغنم المجاهدون مائتي مدفع وعشرين ألف بندقية وكميات وفيرة من المعدات والذخيرة وزهاء المليون خرطوشة وعددا كبيرا من السيارات والحافلات وغيرها من حاجيات الجيش، وبلغ عدد الاسرى سبعمائة شخص. وتعتبر هذه الهزيمة الاداة الفعالة التي منحت عبد الكريم الوسيلة المادية لتنظيم جيش ذى عتاد ومواد لم تكن له وسائل لاكتسابها، زيادة على ما بعثته في نفوس قومه من الروح المعنوية التي يذكىها النصر ويبعثها اليقين بالظفر.

وأعقبت هذه المعركة موقعة حربية عظيمة أخرى هي « موقعة عريت »، فقد انكسر فيها الاسبانيون انكسارا شنيعا وفضيحا، وقد وصل الجيش الريفي الى قرب مليلية.

وفى سنة ١٩٢٢ و ١٩٢٣ كان الاسبان قد أعدوا تنظيم فولهم وتجهيز جيوش عديدة، فارسلوا قوات عظيمة بقيادة الجنرال برانجي، فهاجمت الريفيين وجرت بين الفريقين معارك على طول خط مليلية - كوبا - الحسيمة، كانت سجلا بين الطرفين. ثم هجم الريفيون هجوما صادقا على الاسبان فردوا العدو على اعقابه الى مليلية بعد ما كبده خسائر كبيرة، وسلبوا كل ما معه من ذخيرة وعتاد.

وحيثما علمت الحكومة الاسبانية بهذه الكارثة عقدت مجلسا حربيا قرر وقف الزحف والسعى للاتفاق، فسافر رئيس الوزراء وزملاؤه الى مالقة واستدعوا الجنرال برانجي القائد العام بالمنطقة الريف والمقيم انعام بالمنطقة الاسبانية من المغرب فبلغوه قرار الحكومة ولكنه عارض في ذلك كل المعارضة.

وقد استأنف برانجي هجومه الجديد في شهر مارس من سنة ١٩٢٢ حيث حشد ٥٠ ألف مقاتل بالحسيمة، وقوى عظيمة أخرى بناحية مليلية للاحداق بجبل بنى عروس أملا في مهاجمة عبد الكريم بأجدير.

وفى اليوم الخامس والعشرين من الشهر قام الريفيون بهجوم عنيف عام على طول الخط، وحمى وطيس المعركة حول الحسيمة، وشاركت فيه المدفعية الريفية للمرة الاولى، ودامت المعركة كامل أسبوع فتك فيه الريفيون بالعدو فتكا ذريعا، وتم لهم النصر، وقتل من جيش الجنرال برانجي ٥ آلاف جندي وأسر ٣ آلاف، وجرح

عذوبة تقاليدنا وفوائد مدنيتنا، ان هذا شيء جميل وعال بدون شك، ولقد تذوقته أنا أكثر من كل أحد، ولكن كيف نفعل هذا مع شعب يفر من قربنا، ولا يترك أمامنا الا مقاتلين أشداء يجيبون عن الجمل العاطفية ناطلاق الرصاص؟! » .

تلك هي الروح المغربية حقا. ان الشعب لم يقبل الاقتراب من الفرنسيين ولا من الاسبان، ولم يرد الاغترار بادعاءاتهم أنهم لم يجيئوا الى المغرب فاتحين، وانما وردوا عليه ممدنين مساعدين. ولقد ظهر بأجماع الكل على الدفاع مهما كانت الوسائل المتبعة أن القومية المغربية راسخة، وأنها فوق كل الاعتبارات العصرية مستمدة من روح الدفاع عن النفس الذي هو حق طبيعي للانسانية كلها.

ولكن هذه الروح ستتجلى أكثر من كل مرة أخرى في الحرب الريفية التي عرف بطلها عبد الكريم كيف ينسق اساليبها وينظم مناهجها كان والد محمد عبد الكريم هو الذي استأنف تنظيم المقاومة للاسبانيين بعد أن فشلت كل محاولات هؤلاء لاقتناعه بالخضوع لهم والامتثال لحكمهم، وحاصر (تفريست) حيث وقف عندها نيفا وعشرين يوما، ثم سقط مريضا، وخلف لابنيه محمد ومحمد ميراث الدفاع عن الريف وتخليص المغرب كله من يد الاجنبي. وكان اول ما قام به الزعيم عبد الكريم هو تحرير مركز (دار ابارا) الذي استولى عليه الاسبان، وقد استطاع أن يخلصه بثلاثمائة مقاتل كانوا معه، وأن يطرد العدو بعد معركة شديدة خسر فيها الاسبان أربعمائة جندي وستة من الضباط، وغنم فيها الريفيون كثيرا من البنادق والمدافع والذخيرة.

وكان لهذا النصر اثره في توحيد صفوف الريفيين من حول الامير، والقضاء على كل الدعايات التي كان يقوم بها خونة مغرضون ضدا عليه وعلى عائلته. ثم هجم الجنرال سيلفستر في جهة (سيدي بيسان) في الشمال الغربي من (أنوال)، ولكن جنود الامير دحرتة وكبدته خسائر فادحة تقدر بثلاثمائة واربعة عشر قتيلًا بينما خسر الريفيون سبعة عشر من رجالهم.

ثم جرت احدي المعارك الكبيرة التي تعرف بمعركة (أنوال) وكانت شديدة وقوية؛ اذ كان الجنرال سيلفستر يهجم فيها كل يوم، ويزداد اشتدادا وقوة في كل هجوم، واستمرت المعركة ستة ايام اضطر فيها العدو الى الانسحاب واخلاء مركز أنوال وكل المراكز التي من حولها. وكان تفهقر الاسبانيين في شكل هروب لم يحتج معه

بصفته نائبا عن خليفة السلطان فى حكومة الريف ، وقد صرح السكرتير بأنه لا تمكن أى مفاوضة فيما يرجع للاستقلال أو لالغاء معاهدة الحماية . ولكن وزير خارجية الريف أجاب على هذا العرض بكتاب طويل من أهم ما جاء فيه : (ان الحكومة الريفية التى تأسست على قواعد عصرية وقوانين مدنية تعتبر نفسها مستقلة سياسيا واقتصاديا آملة أن تعيش حرة مثل سائر الشعوب ، وترى لنفسها أحقية امتلاك ترانها قبل كل دولة ، وتعد الجانب الاستعماري الاسبانى معتديا غاصبا لا حق له فيما يزعمه من نشر الحماية على حكومة الريف؛ لان الريف لم يعترف بهذه الحالة أصلا ولن تعترف بها ، بل يرفضها رفضا ، ويلتزم أن يحكم نفسه بنفسه ، ويسعى فى نوال حقوقه الشرعية التى لا نزاع فيها ويدافع عن استقلاله التام بكل الوسائل الطبيعية الخ) .

ولما لم ينجح مؤتمر تطوان عادت الحرب الى الاشتعال ، وتوالى المواقع التى أصبح النصر فيها حليف الريفيين ، والتى لا نريد أن نسردها جميعا . وفى سنة ١٩٢٤ انضمت القبائل التى تقيم فى الربع الواقع بين نهر تطوان والانجرة ووادي اللو ، وطريق تطوان - شفشاون الى المجاهدين ، وانقضت على جيوش الاسبان من كل جهة ، فزاد ذلك وضوحا فى الحركة القومية التى لم تعد خاصة بقبائل الريف ، بل شملت غيرهم من قبائل الجبل ، كما أعطوا الحرب قوة مادية ومعنوية كان لها أثر مفعول فى انهزام كل الجبهات الاسبانية ، وتابعتها القوات المغربية من (الفندق) الى (العرائش) ، وسدت الطريق بين طنجة وتطوان ، واقتربت من تطوان من الجبهة الاخرى .

وحينئذ جاء الجنرال بريمو دى ريفيرا الدكتاتور الاسبانى الى تطوان ، وعقد مؤتمرا عسكريا ضم اثنى عشر قائدا اسبانيا ، وقرروا اعلان الاحكام العرفية فى سائر انحاء المغرب الشمالى ، واستقدام سائر القوات التى باسبانيا ، وتولى بنفسه وظيفة المقيم العام زيادة على كونه رئيس حكومة مدريد ، وقرر عدم مهاجمة النواحي الداخلية ، والاكتفاء بحماية الموانئ والدخول فى مفاوضات مع البطل عبد الكريم . انتدب بريمو دى ريفيرا السنيور (ارشيقاتا) ، وعين الامير صهره السيد محمد بن محمدى ، وقد عرضت اسبانيا على الامير الصلح على أساس تخليها عن المواقع التى جلت عنها ، فلم يقبل المندوب المغربى ذلك وطالب :

١ - بأن تدفع اسبانيا ٢٠ مليونا من (البسيطات) كتعويض .

الجنرال نفسه بجرحين خطيرين فى صدره ، وسافر الى مدريد حيث قرر مع أركان حربه العدول عن خطة الهجوم على أجدير ، والاكتفاء بجمع القوى حول مليلية لتوسيع منطقتة حول مينائها .

أما الريفيون فلم يحفلوا بقرار أركان حرب الاسبانيين ، بل واصلوا هجومهم ودمروا عدة مراكز لسبانية ، وأغرقت بوارج حربية ، وشاركت سفينتهم الوحيدة فى هذا الهجوم ، وقد أثر عمل الريفيين أثرا كبيرا فى معنوية الاسبان فهاجت خواطر الشعب .

وعلى أثر هزيمة الحسيمة انتدبت حكومة مدريد المثرى الاسبانى (ارشيقاتا) للتفاهم مع عبد الكريم على عقد هدنة تعتبر مقدمة لصلح يعقده الطرفان ، وتفك فيها الاسارى فوصل السفير لاجدير ، وعقد مع الامير عدة اجتماعات انتهت بالاتفاق على الهدنة المؤقتة، وفك أسرى الاسبان مقابل مبالغ تؤديها اسبانيا لحكومة الريف ، مع تسريح جميع المسجونين الريفيين . وقد جرت عدة مخابرات لعقد الصلح لم تؤد الى نتيجة عملية ؛ اذ كان الريفيون يطالبون باستقلال المغرب الشمالى عن اسبانيا ، بينما لا تريد اسبانيا أن تعد بأكثر من استقلال داخلى .

وفى سنة ١٩٢٣ عاود الريفيون الهجوم بقوة تبلغ ٧٠٠٠ مقاتل على سفح جبل درسة - شفشاون فاستولت على مراكز العدو الامامية . ثم لما لم تنجح فى التغلب على مركز ترياس - وجهت همتها الى مدينة (داغيت) حيث وقعت هناك معارك هائلة أصلى الريفيون فيها الاسبان نارا حامية ، وحاقت أثرها بالعدو موقعة (عريت - أنوال) وأصبح الجيش الاسبانى فى خطر ، وصرح المسؤولون بأن القضية أصبحت حرجة جدا .

وقد اجتمع مجلس الوزراء الاسبانى على اثر هذه الحوادث ، وقرر انتداب وفد للمفاوضة مع عبد الكريم فى عقد الصلح ، فوصل الوفد لتطوان ، وانتدب الامير اثنى من رجاله وعقد بين الطرفين مؤتمر هام تكررت فيه الاجتماعات دون أن يصل الى حل مرض . وقد كان الوفد الريفى متمسكا بمقتضيات الميثاق الوطنى ، بينما كان الاسبانيون لا يمنحون الا بعض الترضيات البسيطة . وقد كتب السكرتير الوفد الاسبانى الى وزير خارجية الريف رسالة ، كل ما يعرض فيها هو أن لا تقع المفاوضة الا فى منح نوع من التغيير الادارى والاقتصادى فى القبائل الريفية ، وفى الوظيفة أو المنصب الذى يشغله الامير عبد الكريم

- ٢ - وأن تسلم أسبانيا لحكومة الريف ١٥ طائرة ، ومائة بندقية ، ومائة وعشرين بطارية مدافع جبلية .
- ٣ - وأن يجلو الاسبان عن مراكش الى حدود مليلة وسبتة .
- ٤ - واذا قبلت أسبانيا هذه المبادئ يبحث في أمر الصلح وتبادل الاسرى .

ولكن الاسبانيون لم يقبلوا هذه الشروط ، وبدأوا ينسحبون من مائتي مركز من مراكزهم تطبيقا لقرار المجلس الحربى .
وما صل الجيش الاسبانى للخط الذى قرر الوقوف عنده حتى ثارت قبائل الانجرة القاطنة وراء ذلك الخط فيما بين تطوان وحدود طنجة ثورة ألفت الرعب فى نفوس الحماة ، وهددت جيشهم بنكبات عظيمة ، وقطعت عليهم وسائل المون والاتصال .

الحرب مع فرنسا

لقد كانت سياسة الامير عبد الكريم فى بادىء الامر تعمل بكل مجهوداتها لثلا تنضم فرنسا لاسبانيا فى مقاومة الحركة التحريرية ، وكان يرى أن الاوفق لنجاح القضية هو العمل على كسب الوقت ، وتمديد أمد المجاملة لفرنسا ريثما يتم اقضاء أسبانيا عن المنطقة الشمالية بالمرّة ، وكان الفرنسيون فى بادىء الامر ينظرون الى عمل عبد الكريم بكامل التحفظ ، وحاول المارشال ليوطى أن يربط مع عبد الكريم علاقات ظاهرها الود وباطنها المكر والخداع . ولكنه فى الوقت نفسه كان يرفع تقاريره للحكومة الفرنسية ، مبينا ضرورة الحذر من قيام حكومة حرة فى جزء من المغرب مجارو للمنطقة الفرنسية، لما فى ذلك من خطر على سلامة الشمال الاfricanى . نعم كان ينصح فرنسا بالتريص عسى أن تستطيع أسبانيا قهر الريفيين وحدها فلا تضطر فرنسا لخوض غمرات حرب ، ربما تواجه فيها تضحيات مادية ليست بحاجة اليها .

ولكن الفرنسيون لم يستطيعوا الصبر ، بل تقدموا لمهاجمة قبائل ورغة التى تعتبر حصونا أمامية للمناطق الريفية بدعوى حماية القبائل التى تحت النفوذ الفرنسى من مهاجمة الريفيين .

* * *

وقد روى مؤلف « مذكرات عبد الكريم » بقلمه : أن الامير كتب اليه فى بيان الاسباب التى حملته على الدخول فى حرب فرنسا ما نرى فائدة نقله لما فيه من الدلالة على الرغبة القومية التى كانت تملأ نفس الزعيم الريفى ، وتدفعه للعمل على تحرير شامل لسائر مناطق المغرب الاقصى :

قال الزعيم «لقد احدث تقدم الفرنسيين الى «وادي ورغة» ثورة كبيرة بين القبائل الريفية، فتوسلت بذلك لاختضاع بعض القبائل الجبلية الريفية التى كانت ما تزال معتصمة بجبالها لا تحرك ساكنا لمساعدتنا فى هذه الحرب التى نتوسل بها للوصول الى استقلالنا، ولما تمكنت من

أخمد الفتنة بين قبائل غمارة وصنهاجة أخذت أهاجم المراكز الإسبانية واحدا بعد الآخر، ولقد حدثت مناوشات على الحدود بين الفرنسيين والريفيين أثناء جلاء الإسبان كان السبب المباشر لوقوعها عدم وجود حدود طبيعية بين المنطقتين؛ فان هناك شقة واقعة في الشمال الشرقي من فاس تسمى (وادي ورغة العليا) لم يقدم احد على احتلالها لآن، ولكن الفرنسيين يدعون انها جزء من البلاد المشمولة بحمايتهم، فالى هذه الشقة بعثت سنة ١٩٢٤ قوة من المجاهدين انضم اليهم رجال القبائل الوطنية، واعتصموا كلهم بمواقع منيعة، وأخذ رجال الامير يتلقون تعليماتهم منه رأسا» قال الامير :

«ان هذه الشقة كانت تحت سيطرة الريف المباشرة لما اقدم الفرنسيون على احتلالها أخيرا، وسيان عندي اذا كانت اسبانيا تعدها تابعة لها او كان الفرنسيون يحسبونها جزء من البلاد المشمولة بحمايتهم، ما دامت الحكومة الريفية لم تعترف قط بتقسيم المغرب الأقصى الى مناطق مشمولة بحمايات أجنبية مختلفة» (١)

وايا ما كان فان فاتح مايو من سنة ١٩٢٥ كان بدء حرب شديدة بين حركة التحرير الريفية وقوات فرنسا.

ولقد استمرت المعارك الشديدة بين الطرفين، وتوالى انهزام الفرنسيين أمام المقاومة العظيمة التي بذلها الوطنيون المغاربة من اجل التحرر، وبدأت القبائل تنضم من تلقاء نفسها للاتحاد القومي الملتف حول الامير عبد الكريم، واضطرت الحكومة الفرنسية لنقل المارشال ليوطي وتعيين مسيو ستينغ بدلا عنه، كما عينت الجنرال نولان قائدا أعلى للعمليات، وكلفت المارشال بيتان بمهمة تسييرها. وبعد ما نظم المارشال وسائل القتال في المنطقة الفرنسية توجه الى سبتة وتطوان لتنسيق العمليات مع الجنرال بريمو دي ريفيرا .

وقد اندهش الفرنسيون والاسبان لاستمرار المقاومة المغربية وقوة الدفاع والهجوم التي ظهر بها المكافحون المغاربة ، ودقة الخطط والتوجيهات العسكرية حتى رددت الصحف الفرنسية والاجنبية اعجابها ببطولة الشعب المغربي واستبساله في الدفاع عن نفسه. وقامت في كل من اسبانيا وفرنسا حركة شعبية تعلن الاستياء من عمليات استعمارية أدت الى تيتيم كثير من الابناء وانزال الشقاء بعديد من الارامل وطالب

العملة في كل من البلدين بتوقيف الحرب الريفية والاتفاق مع المغاربة على أساس مقبول .

وازاء ذلك صرح رئيس الوزارة الفرنسية بأنه تم لاتفاق مع اسبانيا على شروط الصلح المراد عرضها على عبد الكريم، وهذه الشروط تضمن لاهل الريف حريتهم التامة في شؤونهم الزراعية والاقتصادية والادارية تحت سيادة سلطان المغرب الأقصى الاسمية، وقد يطلب من الامير التسليم ببعض المطالب الخاصة بالسلاح، ولا يطلب منه تسليم كل معداته الحربية، ولكن هذه المطالب لم تتفق مع ما يريده الامير من حرية تامة لسائر مناطق المغرب، ولذلك لم تؤد الى النتيجة المقصودة منها .

لقد كانت الحرب مع فرنسا قاسية شديدة، وكان الامر فيها سجلا بين المغاربة والفرنسيين، ولا يمكننا ان نسردها هنا مواقعها ولا أيامها المجيدة لان ذلك يخرج بنا عن الغاية التي نقصدها من هذا البحث، ويكفي أن نقول ان موقعتي (البيبان) و (الكيفان) وأمثالهما هزت اركان القوة الفرنسية - الإسبانية، وجعلت المارشال بيتان يجلب كل ما لفرنسا من مختلف القوات البرية والبحرية والجوية التي قهرت من قبل بها المانيا في فيردان، ولذلك لا غربة ان نرى القوة تفوز على الحق مؤقتا، خصوصا بعد أن قام جماعة من أعيان المشيخة كعبد الرحمن الدرقاوي وحמידو الوزاني ببعث الضعف في نفوس بعض اتباعهم باسم الدين، والدين منهم ومن تعاليمهم براء ، وانتهت هذه الحرب التحريرية بتسليم الامير يوم ٢٥ مايو سنة ١٩٢٦ فنقل الى فاس ومنها الى منفى (لارينيون) حيث بقى هو واخوه وعمه واحدا وعشرين سنة .

* * *

هذه الحرب الريفية من الوجة العسكرية، وقد رأينا كيف استطاع قائدها العظيم أن يحشد فيها كل القوات المعنوية التي كانت كامنة في الشعب ومحتاجة لمن يحركها في سبيل الدفاع عن حريته، ولقد اخبرني الامير عبد الكريم : أنه وصل الاتفاق بين الافراد والجماعات الى حد ان ذوى الثأر الذين لم يكونوا يكلمون رازيهم تناخوا معهم، وتناسوا كل ما بينهم من حزازات، وسامحوا قاتلي آبائهم وأقاربهم في سبيل المثل الاعلى الذي بعثه هذا الزعيم النبيل في نفوسهم، وألبهم للدفاع عنه والموت في

وروى محرر الماتان العسكري : ان عبد الكريم قال له : نحن المسلمين لا نزال فى غفلة ممضة ، ومن الحق ان نعمل ما يريدنا المصلحون من الرجوع الى الفكرة الاسلامية الاولى، وننبذ العادات والتقاليد التى تمكنت من الاسلام والمسلمين، والتى ليست من الدين فى شىء ابدا .

ولقد حاول الفرنسيون فى دعائهم ان يجعلوا من زعيم الريف مجرد نائر راغب فى الملك او ناظم يطالب بالسلطان، ولكن الامير لم يتأخر عن التصريح فى الوقت المناسب بأنه لا يرغب الا فى تحرير البلاد، وانه لم يشر ولن يثور أبدا على العرش المغربى الذى ظل أسلافه مخلصين له دائما، كما أكد الامير بمجرد وصوله لبور سعيد : انه دائم الولاة لجلالة ملك المغرب الاقصى، وبلغ الامر بالامير الى انه يكره تسمية ما قام به باسم الثورة ؛ فقد كنت أتحدث مرة معه فى شىء ما ، وقلت له : «ان هذا كان زمن الثورة الريفية» فظهر التأثر فى وجهه وقال لى : «لماذا تسمونها الثورة ؟ ! » انها لم تكن الا حرب تحرير من الاجنبى ودفاع عن الوطن» .

ولقد كتبت جريدة «المورنج بوسنت» الانجليزية تقول : انه لم يقم دليل على أن وراء القتال الناشب الآن بين المغاربة والفرنسيين عاملا دينيا ، ولكن روح الكبرياء القومى هو الذى يحتدم فى صدر عبد الكريم، وهو مظهر من مظاهر مبدأ تقرير المصير الذى وصفه مستر لانسانج خير وصف اذ قال : «ان تقرير المصير عبارة محشوة بالديناميت» .

ولقد وجد الامير من الشعب اخلاصا واثباتا وثباتا وتفانيا لا يضاهيه الا ما تحدثت به الروايات عن سير الاعاظم وصفات الابطال، ولقد حاول المستعمرون القضاء عليه بمختلف الوسائل فلم ينجحوا، وفكروا فى قتله غيلة ولكن اخلاص قومه له كان يحول دون تنفيذ ذلك بصفة من الصفات .

حدثنى الزعيم محمد بن عبد الكريم بالقاهرة : ان الكولونيل مونستيريو القائد الاسبانى لمعركة النكور اتفق ذات مرة مع محمد بن ج. محمد أفقيير المكنى عند الاسبانيين ببايزيكى على سم الامير ، وكان حاضرا على الاتفاق ابن سعيد السلاوى، وحمل أفقيير قنينة سم، وجاء معه ثلة من الاسبانيين حاملين عديدا من الديناميت لنسف دار الامير بعد سمة. وما وصل الى اجدير حتى بلغ الامير ما قدم من اجله، وقدم له القنينة، وحمل له الاسبانيين الذين معه كاسارى، وناهيك باخلاص هذا الرجل الشعبى الذى اقل ما يقال عنه ان اخلاصه لبلاده لم يكن واضحا الى حد الا يثق به الاسبانيون ويتأمروا معه على الفتك ببطل الريف ، ويضعوا تحت تصرفه أفرادا من مواطنيهم للقيام بالاستفادة من الدهشة التى تعتري الجمهور بعد قتل رئيسه.

أما بعض ادعاء الطرق الذين اختاروا خدمة الاجنبى على تأييد الاسلام والوطن، فقد احتاط منهم زعماء الريف، وقضوا على كل من استطاعوا القضاء عليه منهم، ولكن الثقة الشعبية فى هذه الطبقة لم تكن ضعيفة الى الحد الذى لا يمكنهم معه ان ينفثوا سمومهم، خصوصا فى اوقات تضعف فيها القوة العسكرية وقد حاول الامير ان يصلح من النفسية العامة بنشر السلفية فى الاوساط، ولكن هل يستطيع احد ان يغير ذهنية شعب كامل فى بعض سنوات ؟

ولقد أخبرنى الفقيه ابو لحية الذى كان وزير العدل فى الحرب الريفية، ثم نفى الى آسفى بعد نهاية الحرب : أن البطل عبد الكريم كان يلزمه مطالعة كتاب التفسير للشيخ رشيد رضا، وغيره من كتب الاصلاح الدينى قاصدا بذلك تنوير فكره، وكان رحمه الله من أسرة تعتقد فى الكثير من الخوارق، وتتبع أربابها دون تفريق او تمييز .